جامعة المنصورة
كليـة الآداب

دور العامه فى الأحداث السياسية
فى العصر العباسى
(من ٢٤٧هـ إلى ٢٥٦هـ) ، (٨٦١م إلى ٨٦٩م)

إعداد

دكتـور
أحمد سعود أحمد الحسن
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الكويت

مجلـة كليـة الآداب - جامعـة المنصـورة
العدد الثانى والعشرون - يناير ١٩٩٨

دور العامة فى الأحداث السياسية
فى العصر العباسى
من سنة ٢٤٧ إلى ٢٥٦ هـ ٨٦١ إلى ٨٦٩م

المقـــــدمة

إن المصادر التاريخية تهتم فى الغالب برصد أحداث الطبقة الحاكمة وأصحاب النفوذ، بالإضافة إلى المشاهير من الناس ممن له تميز فى فن من الفنون أو علم من العلوم وبالمقابل يقل التأريخ لحركة الشعوب وعامة الناس الذين هم الشريحة الكبرى فى المجتمع، وذلك يرجع أن تأثير هذه الطبقة فى مجريات الأحداث - مع كبر حجمها - ضعيف فى مقابل تأثير أصحاب القوة والسلطان ومن بيدهم القرار، ولكن لا يعنى هذا إنعدام معلوماتنا عن العامة فى التاريخ الإسلامى، حيث إنه من الملاحظ بروز مصطلح العامة خاصة فى العصر العباسى فى أحداث متفرقة من التاريخ، ولكنها متناثرة فى المصادر وقليلة تبين بعض المظاهر والأنشطة المختلفة لهم .

ولا شك أن دراسة حياة العامة تعد من الدراسات الهامة للتعرف على حياة السواد الأعظم من الناس بدلاً من التركيز على دراسة فئة قليلة من المجتمع، ولذا إهتمت بعض الدراسات الحديثة بتتبع حياة العامة فى التاريخ ودرهم فى جوانب الحياة المتنوعة، ومن أبرز هذه الدراسات:

* كتاب «العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجرى» لفهمى عبد الرزاق سعد(١) .

* وكتاب «العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى» لبدرى محمد فهد(٢).

* وكتاب «Mouvements Populaires A Bagdad A I' Epoque Ixe- xle Siécles» لسمحا صبرى(٣).

* ورسالة الدكتوراه المقدمة فى جامعة Princeton سنة ١٩٧٨م بعنوان: (A popular protest in Medieval Baghdad, 295 - 334 A.H/ 908 - 946 A.D) لهيلمان إليزابيث(٤).

* وكتاب «أحوال العامة فى حكم المماليك ٦٧٨ - ٧٨٤هـ/ ١٢٧٩ - ١٣٨٢م دراسة فى الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية» لحياة الحجى (٥).

فأهمية دراسة حياة العامة فى التاريخ كانت أحد الأسباب الرئيسية لإختيارنا البحث فى هذا الموضوع كمحاولة للمساهمة فى هذا المجال، بالإضافة إلى سببين آخرين هما :

١ - إنه من الملفت للنظر للباحث فى التاريخ الاسلامى أن الفترة القصيرة التى أعقبت مقتل آخر الخلفاء العباسين الأقوياء المتوكل على الله عام ٢٤٧هـ - ٨٦١م والتى إمتدت حتى ٢٥٦هـ - ٨٦٩م التى قتل فيها الخليفة المهتدى أن العامة برزوا فجأة برزواً واضحاً ومركزاً فى الأحداث السياسية فى بغداد وسامراء خلال هذه السنوات العشر حتى أصبحت مشاركة العامة مظهراً من مظاهر الحياة السياسية فى هذه الفترة القصيرة لا نكاد نجد لها مثيلاً فى الأحداث السياسية فى التاريخ الإسلامى قبلها، وهذه الظاهرة - فى إعتقادنا - تستحق الدارسة للتعرف على خلفياتها ودوافعها وأسبابها ومظاهرها ونتائجها.

٢ - أننا لا نجد بحثاً تخصص بدراسة هذه الظاهرة بعمق مستقصياً تفصيلاتها المختلفة وتحليلها، وإن كان بعض الباحثين قد تطرق لدور العامة فى هذه الفترة، وأبرزهم فهمى عبد الرزاق سعد، ص ٣٠٠ - ٣٠٢، وسمحا صبرى ص ٥٨ - ٦٠ فى كتابيهما الآنفى الذكر، بيد أن دراستيهما جاءتا مختصرتين جداً، وربما يرجع ذلك لإهتمام المؤلفين بتغطية فترة كبيرة من الزمن وإستقصاء أوجه النشاط المختلفة فيهما، ولذا لم يعطيا الموضوع حقه من الدراسة والتحليل .

عالج البحث دور العامة فى سامراء وفى بغداد فى الأحداث السياسية المختلفة لأنه لا يمكن فصل دراسة عامة بغداد عن عامة سامراء فى الفترة موضوع الدراسة. وذلك لأنهما كانا مركزى القوى والتأثير للخلافة العباسية فى العراق، كما أن الأحداث الجارية فى سامراء - التى كانت عاصمة الخلافة فى هذه الفترة - كانت تجد صداها عند عامة بغداد فى كثير من الأحيان لإرتباط أحداث هذه الفترة بعضها ببعض، بالإضافة إلى أن دوافع المشاركة والتفاعل مع الأحداث السياسية فى كل منهما تكاد تكون متشابهة.

و إن خطتنا في معالجة دور العامة السياسى فى سامراء وبغداد حسب التسلسل التاريخى فى عهد من عهود الخلفاء الذيت تولوا السلطة خلال هذه الفترة وهم :

١ - المنتصر (٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ) إلى (٨٦١م - ٨٦٢م) .

٢ - المستعين (٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ) إلى (٨٦٢م - ٨٦٦م) .

٣ - المعتز (٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ) إلى (٨٦٦م - ٨٦٨م) .

٤ - (٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ) إلى (٨٦٨م - ٨٦٩م).

وإهتمت الدراسة ببيان علاقة العامة فى سامراء بالخلفاء العباسيين والأتراك الذين تسلطوا على الدولة، إضافة إلى علاقة العامة بالأجناس الأخرى التى كانت جزءاً من جند الخلافة .

أما بغداد فركزنا على علاقة العامة بالطاهريين الذين كانوا أمراء مدينة بغداد، خاصة محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وأخوه سليمان، إضافة إلى موقف العامة فيها من الخلفاء والأتراك الذين هم أصحاب السلطة فى سامراء وإنعكاس الأحداث السياسية الجارية فى سامراء على عامة بغداد .

وفى خاتمة البحث بيَّنا الدوافع والعوامل التى أبرزت العامة فى بغداد وسامراء فى هذه الفترة كطرف فى الأحداث السياسية، وكما إستخلصنا بعض النتائج من خلال إستقراء دور العامة فى أحداث الفترة موضوع الدراسة .

ومن المصادر الهامة التى إعتمدنا عليها بالدرجة الأولى كتاب: «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبرى (٦) ، وذلك لقرب حياته من هذه الفترة، حيث ولد سنة ٢٢٥هـ - ٨٣٩م وتوفى سنة ٣١٠هـ - ٩٢٢م، وكذلك فإن مقر إقامته فى بغداد (٧) جعلته قريباً أيضا من الأماكن التى دارت فيها أحداث بحثنا، مما يعطى دقة فى الأخبار التى اهتم بها دون غيره من المصادر التاريخية فى تفصيل أحداثها السياسية ودور العامة فيها .

ومن المصادر التى استفدنا منها أيضا كتاب «تاريخ اليعقوبى» لليعقوبى

أحمد بن أبى يعقوب (بعد ٢٩٢هـ - ٩٠٥م)(٨) وكتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لعلى بن الحسين المسعودى (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م) (٩).

وكتاب «العيون والحدائق فى أخبار الحقائق» لمؤلف مجهول (١٠)، وكتاب «تجارب الأمم» لابن مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) (١١) .

تعـــريف العامـــة :

جاء فى المعاجم اللغوية بأن العامة خلاف الخاصة (١٢)، فالخاصة يقصد بهم الخليفة والأمراء والقادة وأصحاب السلطة ومن بيده القوة، أو له الشرف فى النسب، خاصة المنتمين لآل النبى (ﷺ) من العباسين والعلويين، فالعامة إذن غير هولاء كجند الدولة، وأصحاب الحرف والتجار ومختلف فئات المجتمع الأخرى كأهل الذمه والخدم والعبيد والشطار والعيارين وغيرهم من عامة الناس، أى ليسوا القريبين من سلطة الدولة، وإن كان من الصعب أن نجد تعريفا دقيقاً نستطيع من خلاله الفصل بين طبقة العامة والخاصة، فالأدباء والشعراء والعلماء ليسوا من أصحاب السلطة، وفى نفس الوقت لا يدرجون ضمن فئات العامة (١٣) .

هذا هو التعريف العام لمصطلح العامة، ولكننا نجد فى الفترة التى ندرسها تعريفاً أدق لمصطلح العامة عند المؤرخين الأوائل، فنجد أن العامة لا يقصد بهم الجند بمختلف طوائفهم وأجناسهم من الأتراك والمغاربة والفراغنة والأشروسنية والشاكرية، حيث يذكر العامة والجند كفئتين مختلفتين (١٤)، وكذلك الأمر بالنسبة للعيارين حيث لهم مصطلح خاص بهم، ويرتبطون بتنظيم فيما بينهم(١٥)، كما أن تلك المصادر لا تدرج كبار التجار ضمن فئات العامة(١٦).

ويُفهم من الروايات التاريخية لفترة الدراسة معنى محدداً للعامة وهم أصحاب الحرف البسيطة والمتواضعة التى لا تدر ربحاً كبيراً مثل: القصابين. والهراسين(١٧)، وأصحاب الفقاع، والناطف ، والسقاؤون، وأصحاب الحمامات، وغلمان الباقلى، وغوغاء الأسواق(١٨) .

ويمنعى آخر فالعامة هم الذين لا يرتبطون مع بعضهم البعض تحت إطار أو نظام معين أو الذين لا يملكون الثروات، وهم ليسوا من أصحاب السلطة أو لهم شرف النسب، أو إشتهروا فى فن أو علم من العلوم .

وللعامة مرادفات أخرى تذكرها المصادر: كالناس(١٩) ، والغوغاء(٢٠) ، وأهل بغداد(٢١) ، وأهل سامراء(٢٢) ، وأحياناً السفهاء أو الشباب(٢٣) ، والسوقة(٢٤) .

ومصطلح العامى ليس مصطلحاً أطلقه المؤرخون للتعبير عن حركة الناس تجاه الأحداث أو ممارساتهم الأنشطة المختلفة فى الحياة فقط، بل هو مصطلح معروف فى هذه الفترة، ونجد هذا واضحاً فى النداء الذى أعلن فى سامراء أثناء إحدى الفتن الداخلية سنة ٢٥٦هـ - ٨٦٩م «... من أخذ دابة «لعامى» أو تعرض له فى الطريق فقد حلت به العقوبة الموجعة» (٢٥) .

١ - العامة في بغداد وسامراء في عهد المنتصر (٢٤٧هـ - ٨٦١م) إلى (٢٤٨هـ - ٨٦٢م)

إقتضت المصلحة بين المنتصر - ولى عهد المتوكل - والأتراك على قتل الخليفة المتوكل(٢٦) ، فقتلوه وأصبح المنتصر خليفة للمسلمين، وكان لهذا

الحادث أثره فى ضياع هيبة الخلافة العباسية وتبدل الحال من القوة إلى الضعف، وتغير وضع الأتراك من أتباع للخليفة يأتمرون بأمره إلى وضع المشارك القوى فى السلطة، وذلك لإشتراكهم مع المنتصر فى قتل المتوكل، فكان لهم الفضل فى إيصاله للسلطة، فتنازعوا السلطة مع المنتصر(٢٧).

ولكن تأثير الأتراك على الخلافة لم يظهر عند العامة(٢٨)، بصورة كبيرة فى عهد المنتصر، ويرجع ذلك لأسباب مختلفة منها :

١ - إن الأتراك أثناء حكم المنتصر كانوا يتناصفون السلطة معه، حيث إن المنتصر عرف بشخصيته القوية وعقله الراجح(٢٩)، فإستطاع الحيلولة دون سيطرتهم عليه سيطرة كاملة ودون أن يوجهوه كما أرادوا، كما أنه لم يضع نفسه فى موقف يتصادم معهم، بصورة تؤدى إلى إضعافه، أو قتله، فيفسح لهم المجال للتسلط الكامل على الخلافة، لأن القوة بيدهم والجيش يتكون منهم بصورة رئيسية، وبمعنى آخر فالمنتصر استطاع إلى حد كبير الموازنة بين الحفاظ على هيبة الخلافة وتنفيذ رغبات الأتراك(٣٠).

٢ - قصر مدة المنتصر التى لم تزد على ستة شهور وأيام (٣١)، مما لم يفسح المجال لأحدهما أن يتغلب على الآخر، وذلك لأن الوضع كان بينهما فى تنازع، وأثناء هذا التنازع على السلطة توفى المتصر، وإستنادا لبعض الروايات فإن الأتراك لهم علاقة بموته(٣٢).

ومع هذا فبالإمكان رصد ظواهر بسيطة لا تتعدى الإنطباع العام للناس تجاه السلطة السياسية، فمنها ما يتعلق بنظرتهم لشخصية الخليفة، حيث إن العامة لم يستسيغوا الطريقة التى وصل بها إلى الخلافة، ولذا يذكر الطبرى الذى عاش فى فترة قريبة من هذا الحدث فى بغداد : «ولم أزل

أسمع الناس حيث أفضت إليه الخلافة من لدن وُلّى إلى أن مات يقولون: إنما مدة حياته سته شهور مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه، مستفيضاً ذلك على ألسن العامة والخاصة،(٣٣) ، وأما إنطباع العامة عن طبيعية حكمه فقد كان مرضي السيرة، ويعلل المسعودى ذلك بأنه «أظهر الإنصاف فى الرعية فمالت إليه قلوب الخاصة والعامة» (٣٤) .

٢ - العامة فى عهد المستعين
(٢٤٨هـ - ٨٦٢م) إلى (٢٥٢هـ - ٨٦٦م)

عندما مات المنتصر سنة ٢٤٨هـ أصبح قرار إختيار الخليفة بيد قادة الأتراك، إلى حد كبير فتجاهلوا ولى العهد عبد الوهاب بن المنتصر، كما تجاهلوا المعتز الذى عينه المتوكل ولياً للعهد بعد المنتصر، والذى بضغط من الأتراك استعبده المنتصر(٣٥) ، وقرروا أن لا يختاروا أحداً من أولاد المتوكل حتى لا ينتقم منهم لقتلهم المتوكل(٣٦) ، فاختاروا أحد أحفاد المعتصم وهو المستعين أحمد بن محمد المعتصم(٣٧) ، وذلك بعد أن أوكلت المغاربة الأشروسنية قادة الترك باختيار الخليفة(٣٨) ، فاختاروه وبايعوه البيعة الخاصة(٣٩) ، ثم خرجوا به إلى دار العامة ليبايع من قبل الهاشميين من العباسين والطالبيين وغيرهم من أصحاب المراتب. لكن فئة من العامة وغيرهم من الأجناس كالشاكرية(٤٠) ، لم يرضوا بهذا الإختيار فإنضموا إلى بعضهم ليشكلوا معارضة إستخدام السلاح، تطالب ببيعة المعتز، ورفض المستعين، وهاجموا من يقوم بحماية المستعين لإتمام البيعة فى دار العامة حتى وقعت قتلى بين الطرفين، ولكن البيعة - مع ذلك - تمت للمستعين من قبل من حضر دار العامة من أصحاب المراتب(٤١) .

هذا الحدث له دلائل مختلفة منها أن المغاربة والأشروسنية يشكلون حلفاً واحداً ضد العامة، بينما الشاكرية والمبيضة هم أقرب إلى رغبة العامة من جهتين:

الجهة الأولى: المطالبة ببيعة المعتز بمعنى الاعتراف بمن اختاره المتوكل- الخليفة العباسى - رسميا للخلافة، وبالتالى ليس من حق أى جهة التدخل فيه، لأنه من قرارات الخلافة العباسية، وهو يحمل فى طياته رفض العامة ومن أيدهم لما قام به المنتصر أثناء حكمه بضغط من الأتراك بعزل المعتز من ولاية العهد .

الجهة الثانية: رفض أن يسيطر الأتراك على الخلافة فينصّبون من يشاؤون، وكما يدل هذا الحدث أن الأتراك كانوا يتدرجون للوصول إلى السيطرة المطلقة - والتى سنلاحظها فى الأحداث اللاحقة - فى التعيين أو الخلع - فهم فى هذا الحادث على ثقلهم فى الجيش إلا أنهم لم ينفردوا بالإختيار إلا بعد أن ضمنوا موافقة المغاربة والأشروسنية الذين هم أيضا جزءمن جند الخلافة فى سامراء .

وهذا الحدث يعتبر حدثاً هاماً لأنه أول رد فعل مباشر فهو يمثل بداية تحول الخلاف بين الأتراك ومن حالفهم، والعامة فى سامراء ومن أيدهم إلى صراع عسكرى، بمعنى أن العامة بدأت تستشعر خطورة الأتراك، ولم تكتف بالتعبير عن رأيها سليماً أو ترك الأتراك يتحكمون فى الخلافة كما يشاؤون. كما كان لهذا القتال أثر سيئ، فهو بداية لازدياد الفجوة بين الفئات المتحاربة، أى بين الفئات التى بيدها القوة وخاصة الأتراك،

والفئات التى تُريد أت تُحترم إرادتها وتدافع عن مصالحها، ولكنها فى الوقت نفسه ضعيفة وخاصة العامة. ويُعد هذا الحدث بداية لبروز العامة على السطح وإصرارهم على أن يلعبوا دوراً له أثر فى الأحداث السياسية القائمة .

وأما أهل بغداد فلم يُظهروا معارضة لبيعة المستعين، فقد بايعوه بالخلافة عند ورود كتاب المستعين إلى والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر باستخلافه(٤٢) . ولعل عدم وجود معارضة يرجع إلى بغداد لم تعد مقر الخلافة أو مقر إختيار الخليفة، ويبدو أنهم - حتى هذا الوقت - لم يستشعروا خطورة الأتراك ومدى تحكمهم فى الخلافة لبعدهم عن سامراء، وعدم معايشتهم لهم. وتجدر الإشارة إلى أن حال الخلافة وإنحدار هيبتها لم يكن ليلاحظ بسرعة، فلم يمض على مقتل المتوكل آخر الخلفاء العباسيين الأقوياء إلا ستة أشهر حكم خلالها المنتصر الذي مات سريعاً. بالإضافة إلى أن الوالى والهاشميين والقواد والجند قد بايعوا وإعترفوا بخلافة المستعين (٤٣) .

ولكن بعد سنة تقريباً من حكم المستعين ظهر واضحاً لعموم الناس فى بغداد وسامراء بأن المستعين ليس له من الخلافة إلا الإسم، وأن السلطة الحقيقة فى يد الأتراك، وعبر الشاعر عن هذا الوضع بقوله عن المستعين:

خليفة فى قفص ** بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له ** كما تقول الببغا(٤٤)

وخلال تلك السنة أخذ العامة يتذمرون من الحال الذى وصلت إليه الخلافة العباسية فالناس لم يعهدوا ولم يعتادوا تسلط جهة ما على

الخلفاء، وكانت هذه المشاعر تبحث عن الفرصة للتعبير عنها عملياً. وجاء حدث إستشهاد عمر بن عبيد الله الأقطع، وعلى بن يحيى الأرمنى اللذين «كانا نابين من أنياب المسلمين، شديداً بأسهما، عظيماً غناؤهما عنهم فى الثغور التى هما بها»، مع عدد كبير من المسلمين على يد الروم سنة ٢٤٩هـ - ٨٦٣م(٤٥)، سبباً لتفجير تلك المشاعر.

يذكر الطبرى أنه «لما جاءت هذه الأخبار إلى أهل بغداد وسامراء والمدن القريبة منهما شق ذلك عليهم وعظم مقتلهما فى صدورهم، ومع ما لحقهم من إستفظاعهم من الأتراك قتل المتوكل وإستيلائهم على أمور المسلمين وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء وإستخلافهم من أرادوا إستخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ولا نظر للمسلمين»(٤٦).

هذا الوصف الذى ذكره الطبرى يجسدً تطور مشاعر السخط التى أصبحت توجهاً شعبياً معادياً للأتراك فى بغداد وسامراء، وذلك بعد سنة من حكم المستعين. فهذا الحدث فجَّر هذه المشاعر إنعكست فى بغداد بمظهرين إثنين:

المظهر الأول: قيام العامة بتصرفات فوضية تخريبية لتعبر عن سخطها تجاه السلطة، حيث قاموا فى بغداد بفتح أحد السجون، وأخرجوا بعض الجسور وإنتهبوا دار كاتبى والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر، وأتلفوا بعض سجلات الدواوين(٤٧)

المظهر الثاني: أن العامة فى بغداد إجتمعت ونادوا بالنفير لحرب الروم، وبذل الأغنياء الأموال لإنفاقها لمن أراد الخروج للقتال، وإنضم إليهم العامة من نواح مختلفة كفارس والأهواز(٤٨).

كما تعاطف مع العامة سواء فى الأعمال التخريبية أو النداء بالنفير الأبناء والشاكرية(٤٩).

وأما فى سامراء فالأمر لم يختلف كثيراً عما كان عليه العامة فى بغداد، أذ أبدى العامة إستعدادهم للخروج لقتال الروم، كما ساهم التجار بأموالهم فى الإنفاق على من يريد الخروج(٥٠). لكن السلطة المتمثلة بالخلافة والتى يتحكم بها الأتراك لم تحرك ساكناً تجاه إستشهاد هذين البطلين مع من قتل معهما(٥١)، ولم تراع مطالب العامة التى أبدت إستعدادها لقتال الروم. ويبدو أن هذا هو السبب الذى أدى إلي تحرك العامة من جديد فى سامراء والقيام بأعمال تخريبية. فقام بعض الناس بفتح أحد السجون وأخرجوا من فيه ولما أراد الأتراك تعقبهم تعرض لهم العامة وحاربوهم فهزموهم فى أول لقاء. ولم تسكن حركة العامة حتى تحرك قادة الأتراك مثل وصيف، وبغا وأتامش بجيش وقتلوا عدداً من العامة(٥٢)، وإستغل المغاربة المحالفين للأتراك هزيمة العامة فنهبوا بعض منازل العامة(٥٣).

إن تداعيات حدث مقتل الأقطع والأرمنى تبين أنه على الرغم من ضعف الخلافة بسبب تسلط الأتراك وعدم إتخاذ قرار يتناسب مع مشاعر العامة، فإن العامة لم ترض بالوقوف مكتوفة الأيدى تنتظر تحرك السلطة، بل تفاعلت إيجابياً مع الحدث، وحاولت أن تدفع السلطة إلى إتخاذ قرار كان من المفترض أن تبادر به السلطة تجاه الروم.

على أية حال أدى الصدام الذى حدث بين الأتراك والعامة خاصة فى سامراء إلى تفاقم الموقف وإزدياد الإختلاف بينهما .

علاقة العامة في بغداد وسامراء بالعلويين :

ومن الأحداث التى تُظهر سخط العوام على وضع الخلافة فى بغداد تعاطفهم مع الثائر - يحيي بن عمر الطالبى- أحد أنصار الإمام على بن أبى طالب - ضد الخلافة العباسية فى الكوفة سنة ٢٥٠هـ - ٨٦٤م(٥٤)، ذلك لما عرفوه عن خلقه وسيرته الحسنة التى سار عليها عندما ظهر فى الكوفة كامتناعه عن سفك الدماء، أو إغتصاب أموال الناس، وإظهاره للعدل والإنصاف(٥٥) .

يدل على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية من روايات تبين هذا الميل، فيذكر الأصفهانى أنه عندما خرج يحيى وأرسل له والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً لحربه، حيث «كان هوى أهل بغداد مع يحيى» (٥٦)، وعندما قتل يحيى وحمل رأسه إلى بغداد، «فلما دخل بغداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكار له - أى إنكار لقتله - ويقولون : إن يحيى لم يُقتل ميلاً منهم إليه» وشاع ذلك حتى كان الغوغاء والصبيان يصيحون فى الطرقات: «ما قتل وما فر ولكن دخل البر»(٥٧) .

ثم أرسل رأسه إلى المستعين فى سامراء فنصب رأسه بباب العامة ولكن لم يستطيعوا نصبه لمدة طويلة، ذلك لتجمع الكثير وتذمرهم من هذا الفعل، فلم ينصب إلا «لحظة»(٥٨) ، ثم رُدَّ إلى بغداد فأرادوا نصب رأسة عند باب الجسر فلم يستطيع ابن طاهر نصبه بسبب تذمر العامة الذين إجتمعوا ليأخذوا الرأس إن نصب(٥٩) .

ومع هذا فإننا نرى أن العامة لم يتغير ميلهم من العباسيين إلى الطالبيين سواء فى بغداد أو سامراء، فهذا التعاطف كان لشخص يحيى بن عمر لما تميز به من صفات، وما قام به من أفعال حسنة بعد ظهوره فى

الكوفه وهى صفات يتمناها العوام فى خلفائهم فى سامراء أو السلطة الحاكمة فى بغداد، مما دفعهم إلى التعاطف معه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فهذه الثورة قامت والعامة فى وضع نفسى سيئ لتسلط الأتراك عليهم، ولذا لا نستطيع أن نعتبر تعاطف العامة مع يحيى هو تعاطف مع إتجاه الطالبيين عموماً، ويؤكد ذلك ما ذكره الأصفهانى عن أهل بغداد: «ولم يروا قط مالوا إلى طالبى خرج غيره»(٦٠).

العامة وأحداث الفتنة بين المستعين والمعتز عام ٢٥٢هـ / ٨٦٦م:

إن الأطماع الشخصية والمصالح الذاتية تجمع الأتراك إذا إتفقت، وتفرقهم إذا إختلفت، فالأتراك إنقسموا على أنفسهم بسبب التنافس على مواقع القوة(٦١)، فقام وصيف وبغا بقتل خصمهم باغر، فأثار أتباعه الشغب مطالبين بالإنتقام له، ووقف المستعين فى صف وصيف وبغا، وأمام هذا الشغب إتفق رأى المستعين مع وصيف وبغا الإنحدار إلى بغداد، ونزل المستعين فى دار والى بغداد، فندم أصحاب باغر على مغادرة الخليفة سامراء، فجاء وفد من قادتهم مثل كلباتكين، وبايكباك وغيرهما مظهرين الإعتذار عن تصرفاتهم وطلبوا منه أن يرجع إلى سامراء، وضمنوا له أن لا يعودوا إلى شئ مما أنكره عليهم، فأظهر رضاه عنهم ولكن لم يُجبهم إلى الرجوع إلى سامراء، فرجعوا إلى سامراء آيسين من عودته، فاتفق رأيهم على خلع المستعين ومبايعة المعتز بالخلافة.

ووجد المعتز الفرصة بمؤازرة الأتراك للوصول إلى السلطة وناصرهم فى ذلك المغاربة والفراعنة، ثم أرسل المعتز أخاه الموفق قائداً لجيوش الأتراك والمغاربة لحرب المستعين، وحدثت حروب طويلة إمتدت إلى سنة تقريبا بين جيوش المعتز وجيوش المستعين بقيادة والى بغداد محمد بن عبد الله

بن طاهر، ومع إمتداد فترة القتال بدأت كفة المعتز ترجح ويضعف أمر المستعين، خاصة مع طول الحصار لبغداد، ثم استقر رأى والى بغداد بالإتفاق مع ممثلى المعتز على الصلح بأن يتنازل المستعين عن الخلافة للمعتز مقابل ضمان حياة المستعين وممتلكاته، وإضطر المستعين للموافقة على ذلك(٦٢).

فى خضم هذه الفتنة كان للعامة فى بغداد دور فيها فى جانب تأييد المستعين، ويتضح ذلك فى أنه لما أتى إليهم من سامراء رحبوا به ومالوا إليه وأحبوه(٦٣)، وشاركوا فى الدفاع عن بغداد وصد هجوم الأتراك عليه(٦٤). وضغطوا على والى بغداد أثناء الحروب بأن يقيل أحد القادة لأنه انهزم أمام الأتراك فإتهموه بأنه مالأ الأتراك، فاضطر إلى إقالته(٦٥). وعندما بدأ والى بغداد إجراءات الصلح مع المعتز خشى العامة أن يكون الإتفاق على عزل المستعين فأثاروا الشغب ضد والى بغداد والذى حاول مراراً مع إستمرارية معارضتهم أن يؤكد لهم أنه لن يقوم بإجراء يخالف رغبة العامة مع أنه فى السر يعمل لخلع المستعين(٦٦). محاولاً الموازنة بين مداراة العامة لعدم إثارة المشاكل ضده، ومضيه فى إجراءات الخلع لإنهاء الحرب. لكن كل هذه التأكيدات لم تُجْدِ مع العامة، فطلب العامة من والى بغداد محمد بن عبد الله أن يُنْقَل المستعين من داره لأنهم لا يأمنون أن يغدر به فانتقل المستعين إلى الرصافة مع أنه لم يكن راغباً بالإنتقال، ولكن خشية منه أن يهجم العامة على دار الوالى ويتفاقم شغب العامة على الوالى(٦٧).

ونرى أن تأييد عامة بغداد للمستعين فى حربه ضد المعتز لأسباب مختلفة منها: أن الخلاف والعداء بين عامة بغداد والأتراك الذين يناصرون

المعتز ترجع جذوره إلى عهد المعتصم حيث لاقى منهم العامة الايذاء(٦٨) وأن انتصار المعتز يعنى إعادة الأتراك إلى بغداد، الأمر الذى كان يخشاه العامة وقد أبدوا هذا التخوف خلال الفتنة لوالى بغداد، فعندما بدأ الوالى إجراءاته لخلع المستعين أظهروا خوفهم من أن تقع بغداد تحت سيطرتهم فيكون مصيرها كمصير المدن الواقعة تحت أيديهم، فأنكروا عليه ذلك وذكروا له بوضوح أن فعله هذا سيؤدى إلى قيام المعتز بإدخال الأتراك والمغاربة فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقرى (٦٩) .

ولذا كان الوقوف مع المستعين إضعافاً لهيمنة الأتراك التى يخشاها العامة، بينما إعانة المعتز أو الوقوف على الحياد يعنى ترك مجال لإستمرار تسلط الأتراك .

يُضاف إلى ذلك بأن أهل بغداد اغتنموا مجئ المستعين إلى بغداد فرصة لإرجاع مقر الخلافة إلى بغداد كسابق عهدها، ولذلك لما قدم إليهم أحبه أهلها ومالوا إليه، فيكون هذا التميز بإعتبار مدينتهم عاصمة الخلافة(٧٠) ، وفى الوقت نفسه يبتعدون عن تسلط الأتراك، حيث مركزهم الرئيس فى سامراء .

ومن الملفت للنظر أن عامة سامراء لم يشاركوا فى نصرة «المعتز» على «المستعين» مع أنه بويع له فى سامراء، وكانوا قد طالبوا بإستخلافه بدل « المستعين» الذى عينه الأتراك عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م(٧١) ، وما يظهر من تناقض فى موقف عامة سامراء يفسره موقفهم من تسلط الأتراك، فهم يرفضون هذا التسلط، ويعبرون عنه عند كل مناسبة، فاحتجاجهم على إستخلاف «المستعين» سابقاً وقعودهم عن نصرة «المعتز» لاحقاً، إنما جاء

نتيجة إختيارهم الموقف النقيض لموقف الأتراك - المتسلطين على مقاليد الخلافة - فى كلا الحالين.

وعامة سامراء لم يخفوا تعاطفهم مع عامة بغداد- من نفس منطلق معارضتهم لسياسة الأتراك - فهم لما رأوا كثرة ضجيج وبكاء أسرى عامة بغداد الذين سيقوا إلى سامراء، إرتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم بالصراخ(٧٢)، مما دفع «المعتز» لتدارك الموقف، وقد خشى أن يكرهه الناس، فأمر لكل أسير بغدادى بمبلغ من المال وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهد بألا يعاود القتال(٧٣).

ويظهر أن بعض عامة سامراء كانوا يرغبون فى الإلتحاق بعامة بغداد ونصرة «المستعين» يدل على ذلك قرار الأتراك بمنع الناس من الإنحدار إلى بغداد، وتهديدهم بإلحاق العقوبة القاسية على من يؤجر سفينته لنقل الناس إلى بغداد، وقد قاموا بذلك فعليا مع أحد الملاحين(٧٤).

٣ - عهـــد المعتز

(٢٥٢هـ - ٨٦٦م) إلى (٢٥٥هـ - ٨٦٨م)

ولّد وصول «المعتز» إلى سدة الخلافة بمساعدة الأتراك، وبتخاذل والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر عن نصرة «المستعين» - كما يعتقد العامة(٧٥) ردة فعل كبيرة عند عامة سامراء وعامة بغداد على حد سواء.

فقد رأوا فى ذلك تمكينا لسلطة الأتراك وهيمنتهم على شئون الحكم، مما يعنى فى المقابل إستمرار معارضة العامة فى كلا المدينيتين لهم، وإستمرار تدخلهم فى أمور السياسة بما يعبر عن هذا السخط العام تجاه

الأتراك المتسلطين فس سامراء، والوالى - المخادع - فى بغداد ففى بغداد إقتنص العامة فى سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٨م فرصة الخلاف أو الصراع الذى نشب بين جند بغداد «الجدد» من الشاكرية وبين أصحاب الوالى محمد بن عبد الله الذين أوتوا معه من خراسان، وجند بغداد «القدماء». فالشاكرية طالبوا الوالى برواتبهم فأعطاهم مبلغاً من المال، لكنهم لم يقنعوا به فقاموا بإثارة الشغب ضده وإتفقوا على حرب محمد بن عبد الله وأنصاره(٧٦)، فتدخل فى هذا الصراع من العامة «خلق كثير»(٧٧) وإنضموا إلى الشاكرية، فى قتالهم لأصحاب الوالى ونهب الأموال والخزائن(٧٨)، وإستنكر قادة محمد بن عبد الله موقف العامة هذا وخاطبوهم موبخين لهم بأن الشاكرية لهم ما يبرر شغبهم، لأنهم قاتلوا من أجل رواتبهم، بينما العامة فهم «جيران الأمير» ومن المفترض أن ينصروه بدلا من الوقوف مع خصومه(٧٩). وهذا يعنى من وجهة نظرهم - أنه ليس هناك سبب وجيه يدفع العامة للوقوف ضد الأمير محمد بن عبد الله ونصرة الشاكرية، ونرى أن سر إتخاذ العامة فى بغداد هذا الموقف ترجع جذوره إلى أحداث الفتنة بين المستعين والمعتز سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦ وموقف الوالى فيها .

وفى سامراء عام ٢٥٢هـ/٨٦٨م تعدى الأتراك على أحد الوزراء الذى يناصره المغاربة، مما أثار الفتنة بينهما، فقد أحس المغاربة أن الأتراك وتسلطهم لم يعد خطراً على الخلفاء العباسيين والعامة، بل أيضا على كل من يقف معهم تجاه خصومهم، حيث كان المغاربة حلفاء للأتراك فى مختلف الصراعات بين الأتراك وغيرهم من العامة أو الخلفاء، مما أدى إلى إشتعال صراع بينهم. وإجتمعت المغاربة حول إثنين من قادتهم وهما: محمد بن راشد ونصر بن سعيد، وفى أول صدام عسكرى إستطاع المغاربة

هزيمة مجموعة من الأتراك وإجتمع الأتراك مرة أخرى وإستعانوا بأتراك آخرين، وحاربوا المغاربة ولكن فى هذا اللقاء الثانى أعانت طوائف العامة وجند الشاكرية المغاربة، مما أدى إلى هزيمة الأتراك مرة ثانية، فضعف الأتراك وإنقادوا للمغاربة(٨٠).

وإستمر الخلاف حتى حصلت وساطة أدت إلى إسكان الفتنة، ولكن الأتراك إستغلوها لإعادة ترتيب صفوفهم فإجتمعواحول قائدهم بإيكباك وإتفقوا على قتل قادة المغاربة لاعتقادهم بأن بقتلهم لن يتجرأ المغاربة على قتال الأتراك مرة أخرى، وفعلوا قاموا بذلك، ولم يتحرك المغاربة(٨١) .

إن هذه الفتنة تدل على أن الأتراك أصبحوا يغترون بقوتهم وهيمنتهم على السلطة، ولم يعودوا يعتدوا بأى صنف آخر من الجند، وإن المغاربة الحليف الأقوى للأتراك أخذ يغيرموقفه منهم ويتعاطف مع الأجناس الأخرى والعامة فى الوقوف ضد الأتراك، الأمر الذى سنلاحظه بوضوح فى عهد المهتدى.

ويبدأ نقد المغاربة للأتراك يشبه نقد العامه، ويعكس ذلك قولهم: « فى كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون آخر وتقتلون وزيراً» (٨٢)، أما العامة فيبدو أنهم إستغلوا هذا الخلاف من أجل الإنتقام من الأتراك من جهة وكمحاولة لإضعاف شوكتهم من جهة أخرى. وحرص العامة على كسب المغاربة إلى صفهم وإبعادهم عن محالفة الأتراك.. وبالفعل لا نجد بعد ذلك موقفاً عدائياً للمغاربة تجاه العامة .

ويتضح من هذا الحدث أن العامة والشاكرية لديهما تعاطف مشترك وموقف موحد، وعلاقة قوية تربط بينهما، وهذا ما أكدته أكثر من حادثة

من الأحداث السياسية، ليس فقط فى سامراء(٨٣) ، بل أيضا فى بغداد(٨٤) .

وفى حادث آخر وقع فى عهد المعتز يبين حرص العامة على إستغلال أى فرصة للإضرار بالأتراك، وذلك حين إقتنصت العامة الخلاف الذى دب بين جند الأتراك وقادتهم، وإنضم فيه إلى جند الأتراك أجناس أخرى، وهم الفراغنة، والأشروسنية بسبب الرواتب، وهذا الخلاف أدى إلى مقتل أحد قادة الأتراك وهو وصيف(٨٥) ، فإستغلت العامة هذا الخلاف وما أدى إليه، فقصدت منزل وصيف وأولاده لنهبها، ولكن أولاد وصيف منعوا العامة من تحقيق هدفهم(٨٦) .

٤ - دور العامة فى الأحداث السياسية فى عهد المهتدى (٢٥٥هـ - ٢٥٦م) إلى (٨٦٨هـ - ٨٦٩م)

فى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م غضب الأتراك على المعتز لعدم إستطاعته دفع رواتبهم فخلعوه ثم قتلوه بتدبير لعب فيه صالح بن وصيف - أحد قادة الأتراك - دور رئيسياً، ونصبوا مكانه المهتدى محمد بن الواثق(٨٧) .

فشاع هذا الخبر فى أهل بغداد فإجتمعوا حول دار واليهم فى بغداد سليمان بن عبد الله بن طاهر مطالبين ببيعة أبو أحمد الموفق أخو المعتز كان محبوساً فى دار الوالى فأظهر الوالى عدم علمه بخلع المعتز وتولية المهتدى، وأمّلهم بأنه يسصير إلى ما يريدون إن لم يبلغه من سامراء خبر. فطلبوا منه أن يريهم الموفق، فأظهره لهم وأكدوا عليه حفظه، فسكن الشغب. ويظهر أن الوالى إستمر فى إخفاء التغيير الذى حدث فى سامراء-

مع علمه بذلك - فحدث شغب العامة ضد الوالى فهاجموا داره، وأثناء الصدام سقط بعض القتلى بين المدافعين عن دار الوالى والعامة. ولكن العامة بعد ذلك بايعوا المهتدى عندما وزعت عليهم الأموال لإرضاءهم وإيقاف معارضتهم(٨٨) .

يظهر من هذا الحدث أن تصرف العامة هذا يدخل فى سياق المحاولات العديدة لرفض هيمنة الأتراك بالخلع والتنصيب ومحاولة لإسترداد مدينتهم بغداد كعاصمة للخلافة، مما يؤدى بالطبع إلى الإبتعاد عن سيطرة الأتراك فوجدوا فى المطالبة ببعية الموفق أملاً لتحقيق هذه الرغبة، ولكن يظهر أن المال الذى وزع عليهم كاناً مغرياً وكثيراً مما أدى إلى تسكين المعارضة، إذ يذكر الطبرى أن العامة لم تسكن «حتى وُجِّه إلى أهل بغداد بمال رضوا به»(٨٩) ، مما يبين أن هناك بعض الأمور التى قد تؤثر على ردود أفعال العامة حول الأحداث السياسية، فقد ضعفوا أمام الإغراءات المادية، ولكن لا يعنى ذلك القضاء على المشاكل نهائياً، بل ركودها إلى حين، وبتجدد المؤثرات المختلفة.

ففى نفس السنة لعب العامة أيضا فى بغداد دور أساسياً آخر، حيث أشترك مائة ألف من العامة(٩٠) ، مع جند بغداد والشاكرية فى الثورة ضد أحد المقربين من الوالى وهو محمد بن أوس البلخى وأتباعه الذين أطلق عليهم «الصعاليك». وترجع ثورة الجند والشاكرية إلى رفضهم أن يأخذ الوالى سليمان بن عبد الله بن طاهر الأموال المخصصة كرواتب للجند فى بغداد وتصرف على محمد بن أوس وأتباعه، لأن هؤلاء أصلهم من خرسان، وجرت العادة أن يُنفق عليهم من أموال ورثة طاهر بن الحسين وليس من أموال جند بغداد(٩١) . وأما السبب الذي أدى بالعامة

أن تشارك الجند فى ثورتهم ضد محمد بن أوس فهو أن أتباع بن أوس «الصعاليك» لما قدموا من خرسان سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م إلى بغداد مرافقين لسليمان بن عبد الله بن طاهر الذي عُيِّن من قبَل المعتز والياً جديداً على بغداد بدلاً من أخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قاموا بالتعرض للناس، فقد «أساءوا المجاورة لأهلها وجاهروا بالفاحشة وتعرضوا للنساء والعبيد والغلمان وعادوهم لمكانهم من السلطان حتى إمتلؤوا أى أهل بغداد- عليهم غيظاً وحنقاً»(٩٢).

وتأخر العامة عن إظهار مشاعرهم التى يبدو أنها كانت تتفاقم مع الزمن حتى تحرك الجند ضد ابن أوس وأتباعه، فكانت فرصة لتفجير هذه المشاعر، مما أعطى الثورة قوة لإتفاق الطرفين (العامة والجند) فى هدف واحد - مع اختلاف الدوافع - وهو التخلص من محمد بن أوس وأتباعه، وفعلاً أدت هذه الثورة هدفها بإلحاق هزائم متتالية لأتباع ابن أوس حتى طردوهم من بغداد، كما قام العامة بنهب ممتلكات ابن أوس وأتباعه(٩٣)

ويظهر أن الذى جرَّأ العامة - والجند أيضا - على المواجهة المسلحة ضد أتباع ابن أوس ضعف سلطة والى بغداد الذى عجز أمام حجم الثورة الكبيرة عن منعها أو إيقافها، ولم يزد على عتاب المشاركين بالثورة(٩٤)، ولكنه مع هذا اهتم بإرضاء الجند والعامة، فقد أرسل إلى ابن أوس يأمره بالذهاب إلى خراسان وعدم التفكير بالرجوع إلى بغداد مرة أخرى(٩٥).

هذا فيما يتعلق بدور عامة بغداد السياسى خلال حكم «المهتدى»، وأما فى سامراء فعندما أقدم الأتراك على خلع «المعتز» ثم قتْله بتدبير صالح بن وصيف، وعيّنوا «المهتدى» خليفة، بايعه العامة بدون إثارة شغب أو إظهار معارضة، ولعلهم عبّروا بذلك عن إستحقاق «المعتز» لمصيره

المأساوى، بعدما حالف الأتراك الذين إغتصبوا الخلافة وأشعلوا نار الفتنة وخلعوا أخاه «المستعين» ثم قتلوه(٩٦).

وعامة سامراء لم يكونوا متعاطفين مع «المعتز»، لما ذكرنا، وربما كانوا على معرفة بأخلاق «المهتدى» وتدينه وصفاته الحميدة، وقد ظهرت جلية بعد خلافته(٩٧)، وبالتالى فلم تكن هناك دوافع قوية لرفضهم بيعته أو إثارة الشغب على الأتراك الذين نصبوه.

ولكن هذا لم يعن - فى الوقت نفسه - قبول عامة سامراء بتسلط الأتراك على مقاليد الحكم، وتصرفهم بأمور الخلافة ولعل موقفهم من الصراع التركى - التركى دليل قوى على إستمرار موقفهم الساخط من هذه الطغمه، فما إن اقترب موسى بغا بجيشه - وكان خارج سامراء لما قُتل «المعتز» ومعارضاً لخلعه وقتله - حتى صاحب العامة والغوغاء فى الطرقات: «يا فرعون قد جاء موسى»(٩٨)، معربة بذلك عن كرهها لصالح بن وصيف، مشبهة إياه بفرعون الطاغية، جاعلة من موسى بن بغا سيف إنتقام إلهى منه.

وإختفى صالح بن وصيف عندما علم بمجيئ موسى، ولكن موسى توجه مع أصحابه إلى مجلس المهتدى وكان يعتقد أن المهتدى متواطئ مع صالح ضده(٩٩). وكان المهتدى جالساً للمظالم وبحضوره عدد كبير من الخاصة والعامة، فدخل موسى الدار «وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة»(١٠٠).

إن هذا التصرف من أصحاب موسى - الأتراك - يدل على طبيعة تعامل الأتراك مع العامة التى كانت أحد أسباب نفور العامة منهم، ويدل أيضا على إعتزاز الأتراك بثقلهم فى السلطة وعدم هيبتهم لمقام الخلافة

والخليفة، وإنعكس ذلك على معاملتهم للناس فى حضور الخليفة الذى كان ينهاهم عن هذا فلا ينتهون، بل إن الخليفة خشى على نفسه أيضا من الأتراك فغادر المجلس(١٠١) ، ولما رآى موسى ضجة العامة تنحى إلى دار أحد قادة الأتراك وأحضر المهتدى وأخذ عليه العهد والمواثيق بأن لا يغدر به(١٠٢).

وبحث أنصار موسي عن صالح بن وصيف لم يجدوا له أثراً، ثم إتهموا المهتدى بعلمه بمكانه ولكنه يُخفى ذلك عنهم(١٠٣)، فتحدثوا فى خلع المهتدى وبلغ الخبر الخليفة فأحضرهم إلى مجلسه وأظهر لهم الشجاعة، وأنه مستعد لقتالهم، ثم وبخهم على أفعالهم التى يفعلونها فى الخلفاء ولا يمنعهم من ذلك دين ولا حياء، وأنكر لهم علمه بمكان صالح، وإن صالح واحداً منهم، فإذا هم غضبوا عليه فليفعلوا به ما يشاؤون، وبعد هذا اللقاء سكن أمر أصحاب موسى تجاه الخليفة(١٠٤) .

ولكن هذه المشاجرات والأحداث شاع خبرها عند العامة بأن الأتراك عزموا على خلع المهتدى وقتله، فكتبوا رقاعاً وألقوها فى المسجد الجامع والطرقات طالبين من الناس أن يدعوا الله لخليفهم، وأن ينصره على عدوه ويكفيه مؤنة ظالمة(١٠٥) .

ويدل من تصرفات العامة هذا على إهتمامهم بمتابعة ما يجرى فى شئون الخلافة والسلطة السياسية، وإهتمامهم بإتخاذ تدابير تتفق مع رغبتهم وإرادتهم ضد الأتراك. كما يدل أيضا على تعلق العامة بالمهتدى ورضاهم به، ونرى أن هذا التعاطف يرجع إلى أن المهتدى كان يعتبر فى وقته «خليفة العامة» أى الخليفة الذى وجد فيه العامة بُغيتهم، كى يحقق لهم طموحاتهم ورغباتهم، وذلك لأسباب مختلفة:

أولاً: أن الخليفة تقرَّب من العامة تقرباً كبيراً، فقد بنى داراً وسمَّاها قبة المظالم(١٠٦) ، وجلس فيها بنفسه ليمنع الظلم ويحقق العدل(١٠٧) . كما منع أصحاب السلطان والجاه من ظلم الناس(١٠٨) . وكان يحضر فى كل جمعة للمسجد الجامع يخطب فى الناس ويؤمهم فى الصلاة(١٠٩) ، وأشرف على دواوين الدولة بنفسه(١١٠) ، وإهتم بأهل العلم والعلماء والفقهاء(١١١) .

ثانياً: أنه كان فى شخصيته مثالاً للخليفة الصالح التقى الزاهد، فقد كان حريصاً على الصلاة وقيام الليل والصيام، وترك الملاهى والقيان والغناء(١١٢) ، وكان يقتدى فى ذلك بعمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور والصالح من بنى أمية فى خلافته(١١٣) ، ولذا كتبوا فى هذه الرقاع التى نشروها يصفونه بـ «العدل الرضى المضاهى لعمر بن الخطاب»(١١٤) .

ثالثاً: خطط للقضاء على الأتراك الذين «أهانوا الخلفاء وأذلوهم وإنتهكوا منصب الخلافة»(١١٥) ، الأمر الذى تتمناه العامة(١١٦) ، فحاول أن يضرب بعض قادتهم ببعض، ولكن خطته اكتُشفت مما أدى إلى تجمع الأتراك ضده لقتاله(١١٧) .

فاستنصر الخليفة بالأجناس المختلفة ضدهم من الأشروسينة والفراغنة والمغاربة وبعض الأتراك، بالإضافة إلى العامة الذين كان طبيعياً أن ينضموا إلى جيشه مع من وقف مع المهتدى وحدث الصدام الأول مع الأتراك، وإستطاع جيش الخليفة أن ينتصر عليهم ويقتل عدداً كبيراً منهم(١١٨) .

ثم أعاد الأتراك ترتيب صفوفهم وانضم إليهم آخرون، ووقع الصدام

الثانى فعندما إلتحم الجيشان إنضم الأتراك الذين كانوا مع جيش الخليفة إلى جيش الأتراك، ثم حلت الهزيمة بجيش الخليفة، وولى الجيش منهزماً، وإنهزم الخليفة أيضا(١١٩) يبحث عن نصير، وأخذ يستنجد بالعامة، ولكنهم لم يستجيبوا له ولم ينصروه(١٢٠)، حتى أخذه الأتراك وقتلوه(١٢١). ونرى أن الخذلان للخليفة وهو يستنجد بهم لا يتعلق بتغير ميلهم إليه وحبهم له أو رغبتهم فى نجدته، بل يتعلق بظرف طلب النجدة، فهم فى بداية المواجهة قد إنضموا إلى جيشه لتوقعهم هزيمة الأتراك، ولكن فى الظرف الحالى فمن الواضح أن الذى يحاول نجدته سيكون مصيره القتل، دون تحصيل نتيجة فى تغيير ميزان القوى، حيث إن الأتراك هزموا جيش المهتدى المتكون من الأجناس المختلفة، بالإضافة إلى العامة. فالعامة بمفردهم فى هذا الظرف ليس بإمكانهم تغيير شئ على أرض الواقع فآثروا سلامة أنفسهم والحفاظ على دمائهم بدلا من سفكها دون فائدة، فتركوا الخليفة وحده يلاقى مصيره، كما فعلت باقى القوى المناوئة للأتراك.

بعد هذا الحادث ضعفت مشاركة العامة السياسية لمدة تقارب من أربعين سنة سواء فى سامراء أو فى بغداد. وربما كان لهذا الإنتصار الساحق للأتراك ضد الخليفة وحلفائه من مختلف الأجناس له أثر فى إحباط مشاعر العامة خاصة فى سامراء - فى تجديد مواجهة الأتراك مع عوامل أخرى، ليظهر مرة أخرى دور للعامة فى الأحداث السياسية إبتداء مع تولى الخليفة المقتدر السلطة سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م ويستمر بكثافة وتركيز تشبه فترة هذا البحث لعدة سنوات خاصة فى بغداد(١٢٢)، وهى ظاهرة نراها تتكرر فى أحداث التاريخ الإسلامى فى أكثر من فترة، كلما ظهرت

عوامل تدفع العامة للمشاركة والظهور على الساحة السياسية(١٢٣) .

ونستنتج من دراسة هذه الفترة ودور العامة السياسي فيها الآتي :

١ - هناك عاملان رئيسيان خلف دخول العامة المعترك السياسى وبروزهم فى السطح كطرف فى الأحداث والصرعات السياسية هما:

العامل الأول : تحول منصب الخلافة من الهيبة والقوة إلى الضعف بصورة سريعة وليس تدريجياً، حيث كان منصب الخليفة العباسى منذ نشأة الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م حتى مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م يتميز بالقوة، وأن الخليفة هو الشخص المباشر للتصرف فى إدارة شئون الخلافة من غير هيمنة أو منازعة من طرف آخر، وكذلك الأمر عندما ظهر الأتراك على الساحة السياسية كقوة واضحة فى عهد المعتصم فلم يكونوا له إلا أتباعاً فى عهد الواثق ، ثم فى عهد المتوكل - إلى حد بعيد(١٢٤) - فطبقة العامة الذين عاصروا فترة الخلفاء الأقوياء سوءاً فى بغداد أو سامراء(١٢٥) ، ثم عاصروا فترة الإنحدار وضعف الخلافة بتسلط الأتراك، إبتداء بعهد المعتز وإزدادات سوءا بعده حتى نهاية عهد المهتدى لاحظوا الفرق لوضع الخلافة بين هذين العهدين، مما أدى إلى لعب العامل النفسى دوراً كبيراً فى محاولة التغيير لهذا الوضع الجديد الذى لم يعتادوا عليه، وذلك عن طريق القيام بالمظاهرات أو الثورات والدخول كطرف فى الخلافات السياسية لرفض تسلط الأتراك.

ويرافق هذا العامل عامل أخر مرتبط به هو عدم إنسجام أو تقبل العامة

للأتراك ويرجع ذلك إلى هيمنتهم على الخلافة ، وأن الأتراك عنصر غريب على المجتمع البغدادى جلبوا إليه بكثرة فى عهد المعتصم، فهم لم ينبعوا من هذا المجتمع، وبالتالى يعرفوا عاداته وطبائعه، وكيفية التعامل والتعايش معه. وزاد الأمر سوءاً تفاوت الطبائع بين مجتمع العامة ،مجتمع الأتراك - إن صح التعبير - فمجتمع العامة أقرب إلى الحياة السليمة والحياة المدنية، بينما الأتراك هم أقرب إلى الحياة العسكرية فى طبائعهم وأخلاقهم .

ولقد أوضح ذلك الجاحظ فى رسالته مناقب الترك، فمها ما ذكره أن الأتراك لم يهتموا بـ «الصناعات والتجارات، والطب ، والفلاحة، والهندسة، ولا غرس، ولا بنيان، وشق الأنهار، ولا جباية غلات، ولم يكن همهم غير الغزو، والغارة، والصيد، وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدويخ البلدان، وكانت هممهم مصروفة إلى ذلك بل صار ذلك كل صناعتهم، وتجارتهم، ولذتهم، وفخرهم» (١٢٨) ، ويعتبر الأتراك أن «ترك الغزو يورث المذلة» (١٢٩) .

كما يؤكد الجاحظ أنه اكتملت فيهم صفات النجدة والفروسية وعرفوا جميع صنوف القتال والحرب(١٣٠) ، ووصفوا بالجفاء(١٣١) ، مما يعنى أن الطبائع متباينة بينهم وبين العامة، وأن التقارب والإنسجام أو التعايش غير ممكن. ،زاد ذلك أيضا أنهم مع غرابتهم عن المجتمع وميل طبائعهم إلى العنف جلبوا ووضعوا فى موقع القوة فى السلطة. فهم جند الدولة الرئيسى، وحاشية الخليفة وأنصاره المقربين، فلم يهتموا بكسب العامة، بل إن هذا الوضع زادهم طغياناً. فلهذه الأسباب مجتمعة بدأ الإحتكاك بينهم وبين العامة مع بداية تواجدهم فى بغداد فى عهد المعتصم، وبدأت

مضايقتهم للعامة(١٣٢) ، حتى إستشعر الخليفة المعتصم خطورة الوضع(١٣٣) ، فكان أحد الأسباب الرئيسية لبناء مدينة سامراء هو نقل الأتراك إليها ليبعد أذاهم عن العامة، وقد بنى لهم مساكن خاصة بهم(١٣٤) .

ثم تفاقمت الفجوة بين الأتراك وبين عامة بغداد وسامراء لاشتراك الأتراك فى قتل المتوكل، ثم تنامى تمكنهم فى السلطة فى عهد المنتصر ووصلوا إلى السلطة فى عهد المستعين والمعتز والمهتدى ، ومع وصولهم إلى الهيمنة المطلقة على السلطة ظهرت المواجهات المسلحة بينهم وبين العامة إبتداء من عهد المستعين حتى نهاية عهد المهتدى عام ٢٥٦هـ/٨٦٩م. وكانت أسباب تلك المواجهة رفض تسلط الأتراك والرغبة فى إعادة هيبة الخلافة إلى ما كانت عليه، فاستغل عامة سامراء وعامة بغداد - أيضاً - الظروف المختلفة لإضعاف شوكة الأتراك ومحاولة التخلص منهم والقضاء على سيطرتهم .

العامل الثانى: إن العامة فى بغداد وسامراء لهم توجهات معينة حول ما يجرى على الساحة السياسية من أحداث سواء خارجية - أى خارج منطقتى سامراء وبغداد - أو داخلية أى فى داخل سامراء وبغداد - تخالف توجهات السلطة المتمثلة بالطاهريين فى بغداد أو الأتراك فى سامراء، أو قيام هذه السلطة بتصرفات تتعارض مع مصالحهم، أو لا تتناسب مع رغباتهم ومطالبهم، فيتحرك العامة أملاً فى تحقيق هذه الرغبة على أرض الواقع.

وهذا ما لاحظناه فى دراستنا إنتفاضات العامة المختلفة فى بغداد

وسامراء فى وقت لم يجدوا للخلفاء دوراً فى الإستجابة لمطالبهم أو النظر فى مصالحهم، وذلك لضعفهم.

٢ - إن طبيعة علاقة العامة بطوائف الجند ليست واحدة أو ثابتة، وذلك تبعاً لظروف الأحداث السياسية ومواقف تلك الطوائف من العامة فيها، وأبرز هذه الطوائف هم الأتراك، والمغاربة، والفراعنة، والشاكرية.

فالبنسبة للأتراك فقد ظلت ثابتة طوال فترة البحث وهو العداء والخصومة، وأما الشاكرية فقد كانوا أنصار العامة فى أكثر من موقف، ولم يقفوا موقفاً عدائيا ضدهم. وأما المغاربة فقد كانوا أول أمرهم متعاطفين أو متحالفين مع الأتراك ضد العامة حتى دب الخلاف بينهم وبين الأتراك، وأصبحوا أكثر تعاطفاً مع مشاعر العامة، ولذا وقفوا مع المهتدى الذى يناصره العامة - وغيرهم - ضد الأتراك سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م. وأما الفراعنة فحالهم أشبه بحال المغاربة فقد كانوا متعاطفين مع الأتراك، كما فى حربهم للمستعين، الذى يدعمه العامة - وغيرهم فى بغداد، ولكن نجدهم فى عهد المهتدى ينضمون إلى جيش المهتدى مع باقى الأجناس والعامة ضد الأتراك، وذلك لإحساسهم بأن تمكن الأتراك من السلطة فيه خطر عليهم أجمعين، لذا إتحدوا مع الخليفة ليقضوا على الأتراك.

إستغل العامة الخلافات التى تنشب بين طوائف الجند المختلفة وبين الأتراك للتعاون مع الطرف المعادى للأتراك لتكوين جبهة واحدة ضدهم، مع إختلاف هدف كا منهما وغاياته، ولكن يشتركون فى شئ واحد هو عداء الأتراك .

٣ - أن العامة فى بغداد وسامراء لم يصنعوا الأحداث السياسية، فتصرفاتهم كانت عبارة عن ردود أفعال لأحداث قد وقعت، سواء

كانت هذه الأحداث خارج مدينتى سامراء وبغداد أو فى داخلها، بمعنى أن العاطفة هى التى تحركهم فى ردة فعلهم لهذا الحدث أو ذاك، وتبعاً لذلك يقوم العامة بالتحرك والمظاهرات والثورات. وهذا يعنى أن تصرفاتهم غير مبنية على خطة مدروسة قدرت فيها الطاقات والإمكانات، وعرف فيها حجم قوة الخصم ومدى إمكانية نجاحها وتحقيق أهدافها. ونرى أن هذا أمر طبيعى لأن العامة لا يرتبطون فى إطار تنظيم معين، كما يفتقرون إلى القيادة. فكل ما يربطهم هو إشتراكهم فى العاطفة والإنفعال تجاه الأحداث المختلفة. ولذا نجد أن كثير من تحركاتهم السياسية لا يقدر لها النجاح أو تحقيق النتائج المرجوة منها فى مقابل تنظيم وقوة السلطة التى يواجهونها.

ويلاحظ أيضا أن ردود الأفعال هذه تختلف درجاتها من حدث لآخر، فبينما نراهم يشتركون فى حدث ما بنحو ألف شخص(١٣٥)، نجدهم فى حدث آخر يشتركون بمائه ألف شخص(١٣٦)، وذاك راجع إلى مدى وعمق تعاطفهم مع مختلف الأحداث.

٤ - إن ضعف الخلافة أو السلطة فى زمن ما لا يعنى بالضرورة ضعف الناس، فرصد حركة العامة هو رصد لحركة الشعب ومدى تفاعلها مع الأحداث والقوى الفاعلة فيها، والتى هى بطريق مباشر ترجع نتائجها على العامة أنفسهم، فتقييم حركة العامة خلال فترة البحث تدل على أن العامة لم يقفوا موقف العاجز أو المتفرج لمن يضطهدهم ويعمل على سلب إرادتهم أو يضطهد خلفائهم، بل حاولوا التأثير فى سير الأحداث حسب قدراتهم وإمكاناتهم، وذلك لإثبات وجودهم والتعبير عن رأيهم وأملا فى تحقيق إرادتهم .

٥ - إن العامة سواء فى بغداد أو سامراء تعاطفوا مع الخلفاء الذين يريدون التخلص من سيطرة الأتراك، فعامة بغداد وقفوا مع المستعين، وقاتلوا معه الأتراك الذين يريدون خلعه وتنصيب المعتز، وإن عامة سامراء وقفوا مع المهتدى فى قتاله للأتراك بينما فى المقابل لا نجد أى ردة فعل أو تعاطف مع الخليفة المعتز الذى وصل إلى السلطة بقوة الأتراك عندما قاموا بخلعه ثم قتله سواء من عامة بغداد أو عامة سامراء .

٦ - إن التقييم العام لعلاقة العامة سواء فى بغداد أو سامراء تجاه السلطة الحقيقة أنها كانت سيئة، ولكن بالمقارنة بينهما فى درجة السوء فلعلها فى بغداد أقل سوءاً، وذلك أن بنى طاهر حاولوا مراعاة ومدارارة العامة عند التعامل معهم قدر المستطاع(١٣٧) ، بينما الأتراك فى سامراء لم يأبهوا بالعامة ومشاعرهم.

٧ - فى أكثر من حدث سياسى نجد الإنتفاضات ضد السلطة فى بغداد أو سامراء ترافقها تصرفات فوضوية وأعمال تخريبية كفتح السجون، وإطلاق السجناء، أو هدم الجسور، وغير ذلك، وهى من جهة تعبير عن السخط والغضب، كرد فعل لحدث ما، ومن جهة أخرى تمثل تحدياً للسلطة، ومحاولة جرح هيبتها وإظهار عدم الخوف منها والجرأة عليها، ومن جهة ثالثة ضغط على السلطة للإستجابة لإرادتهم.

٨ - وأخيراً.. كان لإنتماء العامة فى بغداد وسامراء إلى نفس الطبقة الإجتماعية أكبر الأثر فى إيجاد علاقة روحية تجمع بينهم، وقد برزت هذه العلاقة بوضوح خلال أحداث الصراع بين المستعين والمعتز، بالإضافة إلى تشابه ردود الأفعال مع الأحداث فى أكثر من موقف.

الهوامـــــش

(١) فهمى عبد الرزاق سعد، العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجرى (بيروت، ١٩٨٣).

(٢) بدرى محمد فهد، العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى (بغداد، ١٩٦٧).

(٣)- Simha Sabri, Mouvements Populaires A Bagdad A L'Epoqua Ixe Siecles (Paris, 1981).

(٤)/ Heilman Elzabith, Apopular in Medieval Baghdad 295 - 334 A.H/908 - 946 A.D. Unpublished P.H.D thesis Princeton University, 1978).

(٥) حياة الحجى، أحوال العامة فى حكم المماليك، ٦٧٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٧٩ - ١٣٨٢م (الكويت، ١٩٨٤).

(٦) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزء، (بيروت، ١٩٦٧) .

(٧) أحمد بن على الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ - ١٠٧٢م)، تاريخ بغداد، تحقيق محمد سعيد العرفى، ١٤ جزء، (بيروت، بدون تاريخ)، جـ٣، ص١٦٣ .

(٨) جزءان، (بيروت، ١٩٨٠).

(٩) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ٤ أجزاء، (بيروت، ١٩٨٢).

(١٠) تحقيق عمر السعيدى (دمشق، ١٩٧٢)، جـ٤، القسم الأول.

(١١) تحقيق دى جوية، أبريل ١٨٧١م، الجزء السادس، ملحق مع الجزء الثالث من كتاب «العيون والحدائق فى أخبار الحقائق» .

(١٢) ابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ - ١٣١١هـ)، لسان العرب، ١٥ جزء، (بيروت، ١٩٦٨)، جـ١٢، ص ٤٢٦، محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس، (بيروت، ١٩٦٦)، جـ٨، ص ٤١٠ .

(١٣) أنظر التفصيل فى موضوع التعريف العام لمصطلح العامة والفرق بينه وبين الخاصة، بدرى، العامة، ص ١١ - ١٤، سعد، العامة ص ٦٥ - ٦٧، Heilman, popular. p. 154 - 167 M.A.J. Beg, art "Al-Khassa Wa'l Amma", El2, Vol, IV, P. 1098 - 1100.

(١٤) الطبرى ، تاريخ جـ٩، ص ٢٦٢، ٣٣٦، ٣٦٩، ٤٠١، ٤٥٨ .

(١٥) الطبرى، تاريخ ، جـ٩، ص ٢٨٨ ، ٢٩٦، ٣٠٩، ٣١٠ ، ٣١١ ،حيث يذكر العيارون فى هذه الصفحات كفئة أو طائفة مستقلة عن العامة - وغيرهم من الأجناس - فى قتالهم مع والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر ضد الأتراك أثناء الفتنة بين المستعين والمعتز عام ٢٥٥هـ/٦٢٨م .

(١٦) الطبرى، تاريخ جـ٩ ،ص ٣٣٦ .

(١٧) الصولى محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ - ٩٤٦م) . كتاب الأوراق، جزء من «شذرات من كتب مفقودة»، تحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٨٨)، ص٤١١ . القصاب، هو الجزار، أنظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، جزءان، الطبعة الثانية، ج٢، ص ٧٣٧ .

الهرَّاس: هو صانع الهريسة، وهى نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر، أنظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص ٩٨١ .

(١٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

أصحاب الفقّاع، والفقاع «شراب يتخذ من الشعير يخمر حتى تعلوه فقاعاته»، أنظر: المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٩٨.

أصحاب الناطف، الناطف «سائل من المائعات وهو نوع من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق»، أنظر: المعجم الوسيط، جـ٢، ص٩٣٠، ٩٣١.

غلمان الباقلى، الباقلى، هى «الباقلاء، وهى نبات عشبى من الفصيلة القرنية، تؤكل قرونه مطبوخة، وكذلك بذوره»، أنظر: المعجم الوسيط، جـ١، ص٦٦.

(١٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٧٠ ، ٣٩٢ ، ٣٦٩ .

(٢٠) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٩ .

(٢١) نفسه، ص٢٦٨ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ، ٣٩٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٢٢) نفسه، ص٣١٣ .

(٢٣) نفسه، ص٣٤٠

(٢٤) نفسه، ص ٢٥٧ ، ٣٢٤ .

(٢٥) نفسه، ص ٤٥٢ .

(٢٦) أنظر الأسباب التى أدت إلى إشتراك الأتراك والمنتصر فى قتل المتوكل، الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٢٢٢ ، ٢٢٥ ؛ ابن مسكوية، تجارب، ص ٥٥٤ ؛ ابن الأثير على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، الكامل فى التاريخ، ٣ أجزاء (بيروت، ١٩٧٩)، جـ٧، ص٩٥ - ٩٧ ؛ يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية (دمشق، ١٩٨٢)، ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

(٢٧) Saundres J, A History of Medeival Islam, (London, 1964) p. 107.

وأنظر أيضا :

Kennedy, H, The Prophet and the age of the Caliphates, (London, New york, 1986) p. 172.

(٢٨) إنه لابد من التنبيه إلى أن المعارضة التى حدثت لبيعة المنتصر بعد مقتل المتوكل مباشرة كانت فى المدينة التى بناها المتوكل والتى سميت المتوكلية وهى «الماحوزة» أنظر البغدادى، تاريخ، جـ٧، ص١٧٢، وذكر ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م)، أن الماحوزة اسم القصر الذى بناه المتوكل فى مدينة المتوكل، أنظر ياقوت، معجم البلدان (بيروت، جـ٣، ص١٧٥، وليس فى سامراء أو بغداد. وإنتقل المنتصر إلى سامراء بعد عشرة أيام من بيعته فى الماحوزة، انظر: ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ١٤ جزء (بيروت، بدون تاريخ)، جـ١، ص ٣٥٢.

(٢٩) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ١١٦.

(٣٠) أنظر مثلاً إستجابته لمطالب الأتراك بعزل أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد وتولية ابنه عبد الوهاب، الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٤٤ - ٢٤٦، ابن مسكويه، تجارب، ص ٥٥٨ - ٥٦٠، وأنظر أيضاً: Kennedy, Caliphates, p. 172

(٣١) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٣٢) نفسه، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣٣) نفسه ، ص٢٥٢ .

(٣٤) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٣٧ .

(٣٥) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٤٤ ، ابن الأثير ؛ الكامل ، جـ٧ ص١١٢ - ١١٤ ، وانظر أيضا : Kennedy, Caliphates, p. 172 - 175Æ

(٣٦) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٥٦ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٣ .

(٣٧) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٥٦ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٣ .

(٣٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٥٦ .

(٣٩) نفسه .

(٤٠) نفسه، وانظر فى تعريف الشاكرية :

The histony of Al-Tabari, translated and annnotated by David wanes, vol xxxvi, (New york, 1992) p.7 note 27, Kennedy, Caliphates, P. 172, M.A. Shaban, Islamic History, vol: 2, p. 64.65.

(٤١) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٥٦ .

(٤٢) نفسه، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص ١١٨ .

(٤٣) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص١١٨ .

(٤٤) السيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبن بكر، (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة، ١٩٥٢) ، ص ٣٥٨ .

(٤٥) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص٢٦٢ ، وانظر أيضاً ابن مسكويه، تجارب،

ص ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

(٤٦) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص٢٦٢ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٥ .

(٤٧) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٥ .

(٤٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص١٢٢ .

(٤٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ ابن مسكويه، تجارب، ص٥٦٥ ، يقصد بالأبناء: الموالى وأبناؤهم من الأجناس المختلفة خاصة الخراسانيين الذين لعبوا دوراً هاماً فى إقامة الدولة العباسية ونصرتها ضد أعدائها، وانظر أيضا: Lassner J. The shaping of the Abbasid rule. (Princeton, 1980) p.129 - 136, B Lewis, art."al-Abna" EI2, vol. 1, p. 102 .

(٥٠) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٥١) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ ابن كثير، البداية، جـ١١ ، ص٣ . يقول ابن كثير «وقد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهى» ، جـ١١ ، ص٣ .

(٥٢) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ ابن كثير، البداية، جـ١١ ، ص٣ .

(٥٣) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٥٤) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٤٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص١٢٦ .

(٥٥) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٤٨ .

(٥٦) الأصفهانى على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ - ٩٦٦م) ، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر (القاهرة، ١٩٤٩) ، ص ٦٤١ .

(٥٧) نفسه، ص ٦٤٣ .

(٥٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ص١٢٨ .

(٥٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ص١٢٨ .

(٦٠) الأصفهانى، مقاتل، ص ٦٤ ؛ وانظر أيضاً الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٢٦٨ .

(٦١) انظر التفصيل فى هذا الحدث، الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٢٨٢-٣٤٥ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤ ، ١٦٢ - ١٦٣ .

(٦٢) ابن عساكر على بن الحسين (ت ٥٧١هـ - ١١٧٥م) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق عبد القادر بدران، ٧ أجزاء، (بيروت، ١٩٧٩) ، جـ٥ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ؛ Belyev E, Arabs, Islam and the Arab caliphate in the early Middle Ages, (London, 1969) p. 202, Kennedy, Caliphates, p. 173 - 174.

وانظر: الأثر الاقتصادى لهذه الحرب على الفلاحين والزراعة فى العراق:

Waines D, The third century internal crisis of the Abbasids, Journal of the economic and social History of the Orient vol. xxpart 111 (1977), p.p. 293 - 300 .

(٦٣) البغدادى، تاريخ، جـ٢ ، ص ١٢٣ ؛ وابن عساكر ، تاريخ ، جـ٥ ، ٣٥٥ .

(٦٤) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٦٥) نفسه، ص٣١١.

(٦٦) نفسه، ص ٣٣٥ ، ٣٣٩ ؛ المسعودى ، مروج، جـ٤ ، ص١٦٣ .

(٦٧) الطبرى، تاريخ ، جـ٩، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٦٨) نفسه، ص١٨٠ ؛ ياقوت البلدان، جـ٣، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ؛ العش، الخلافة العباسية، ص١٠١ ، ١٠٢ .

(٦٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٧٠) ويفهم من مقابلة المستعين بالقادة المدافعين عن بغداد رغبته بأن ترجع بغداد عاصمة للخلافة، وذلك تشجيعاً لهم للثبات فى مقاتلة الأتراك ، وذلك عندما قال لهم: «والله يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسى وسلطانى ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم وأن يرد الله إليكم أموركم قبل مجيئ الأتراك وأشباههم فقد يجب عليكم المناصحة والجهد فى قتال هؤلاء الفسقه»، الطبرى: تاريخ، جـ٩ ، ص٣٣٤.

(٧١) أنظر ص٧ .

(٧٢) الطبرى ، تاريخ ، جـ٩ ، ص ٣١٣ .

(٧٣) نفسه، ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٧٤) نفسه، ص ٢٨٢ .

(٧٥) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٣٣٩ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٦٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ جـ٥ ، ص٣٥٥ .

(٧٦) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٣٥٦ ، ٣٦٠ .

(٧٧) نفسه، ص ٣٥٩ .

(٧٨) نفسه .

(٧٩) نفسه .

(٨٠) نفسه، ص ٣٦٩ .

(٨١) نفسه .

(٨٢) نفسه .

(٨٣) انظر ص ٧ ، ١٤ .

(٨٤) انظر ص ٩ ، ١٤ .

(٨٥) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٣٧٤.

(٨٦) نفسه .

(٨٧) نفسه، ص ٢٨٧ - ٣٩٠ ؛ المسعودى؛ مروج، جـ٤ ، ص ١٧٨ .

(٨٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص١٩٩ .

(٨٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٣٩٣ ؛ وانظر أيضا: ابن الأثير، الكامل، جـ٧ ، ص١٩٩ .

(٩٠) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص ٤٠٢ .

(٩١) نفسه، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٩٢) نفسه، ص ٤٠٠ .

(٩٣) نفسه، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٩٤) نفسه، ص ٤٠٣ .

(٩٥) نفسه، ص ٤٠٤ .

(٩٦) نفسه، ص ٦٢ - ٣٦٤ ؛ وانظر أيضاً : Belyaev, Caliphate, p. 202 .

(٩٧) اليعقوبى ، تاريخ، جـ٢ ، ص٥٠٥ ؛ اليعقوبى، مشاكلة الناس لزمانهم (بيروت، ١٩٦٢) ، ص ٣٤ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٨٣ ؛ وانظر أيضا : Belyaev, Caliphate, p. 202.

(٩٨) المسعودى ، مروج، جـ٤ ، ص١٨٤ .

(٩٩) انظر التفصيل: الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص٤٣٨ - ٤٤٠ ؛ وانظر أيضا : المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(١٠٠) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص ١٨٤ .

الدبابيس، الدبوس عبارة عن «عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس» ، انظر: المعجم الوسيط، جـ١ ، ص ٢٧٠ .

(١٠١) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٨٥ ، عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلى (ت ٧١٧ هـ - ١٣١٧م) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تحقيق مكى السيد جاسم (بغداد، بدون تاريخ) ، ص ٢٣١ .

(١٠٢) المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص ١٨٥ .

(١٠٣) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤، ص ١٨٥ .

(١٠٤) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(١٠٥) نفسه ، ص٤٤٤ .

(١٠٦) المسعودى، مروج، جـ٤، ص١٨٣ .

(١٠٧) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٤٠٦ ؛ اليعقوبى، مشاكلة، ص٣٤ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤، ص١٨٣ .

(١٠٨) البغدادى، تاريخ، جـ٣، ص٣٥٠ ؛ السيوطى، تاريخ، ص٢٦٢ .

(١٠٩) المسعودى، مروج جـ٤، ص١٨٣ .

(١١٠) البغدادى، تاريخ، جـ٣، ص٣٥٠ ؛ السيوطى، تاريخ، ص٢٦٢ .

(١١١) اليعقوبى، تاريخ، جـ٢، ص٥٠٥ ؛ اليعقوبى، مشاكلة، ص٣٤.

(١١٢) نفسه، المسعودى، مروج، جـ٤، ص١٨٣ ؛ المسعودى، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٤، (بيروت، ١٩٨١) .

(١١٣) اليعقوبى، مشاكلة، ص٣٤ ؛ المسعودى، التنبيه، ص٣٣٤ ؛ البغدادى، تاريخ، جـ٣ ص٣٥٠ ؛ ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٣.

(١١٤) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٤٤٤ .

(١١٥) ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٣.

(١١٦) يذكر المسعودى: أن العامة-والخاصة- قد إستطالوا خلافة المهتدى لأنه أراد أن يحملهم على اتباع تعاليم الدين فخططوا ضده حتى

قتلوه، مروج، جـ٤، ص١٨٣ ، ١٨٦ ويعارض ما ذكره المسعودى أن العامة نصروا المهتدى فى قتاله للأتراك، وإنما الذى كرهوا خلافته وعملوا على قتله هم الأتراك فقط - كما ذكرنا - ولعل الأدق فى التعبير ما ذكرة الأربلى «وأبغضه الجند وأهل الفساد بسبب ذلك»، سير، ص ٢٣١ أى أن العامة لم يكونوا من ضمن من كره خلافته .

(١١٧) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤ ، ص١٨٥ ، العيون والحدائق، جـ٤ ، القسم الأول، ص٣ ، ٤ ؛ السيوطى، تاريخ، ص ٢٦٣ ، وروى أن سبب تجمع الأتراك ضد المهتدى يرجع لأسباب أخرى، انظر اليعقوبى، تاريخ، جـ٢ ، ص٥٠٦ ، الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(١١٨) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص ٤٥٨ ؛ وانظر أيضا:

Kennedy, Caliphates, p. 172.

(١١٩) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٤٥٨ .

وفى رواية أخرى للطبرى، بأن المهتدى لما خرج لقتال الأتراك لم يحدث صدام فى أول يوم وكان القتال فى اليوم التالى الذى به حلت الهزيمة بالمهتدى وجيشه، أنظر: تاريخ جـ٩، ص ٤٦١.

(١٢٠) نفسه، ص٤٥٨، ٤٦١ المسعودى، مروج، جـ٤، ص١٨٥ ؛ العيون والحدائق، جـ٤ ، القسم الأول، ص٧ .

(١٢١) اليعقوبى، تاريخ، جـ٢ ، ص٥٠٦ ؛ الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص٤٥٨ ، ٤٥٩ ؛ المسعودى، مروج، جـ٤ ، ١٨٦ . وفى رواية أخرى

خلاف المشهور عند المسعدى بأن المهتدى قُتِل فى المعركة، مروج، جـ٤، ص١٨٧.

(١٢٢) انظر هذه العوامل الأخرى، فاروق عمر، الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية، الطبعة الثانية، (بغداد، ١٩٧٧) ،ص٨٠.

(١٢٣) لم يعد لعامة سامراء دور فى الأحداث السياسية، وذلك لأن المعتضد الذى تولى الخلافة من عام ٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ، تركها وإنتقل إلى بغداد التى إستمرت عاصمة للخلافة العباسية فى العراق لمن جاء بعده، فلم يعد لسامراء تلك الأهمية السياسية بعد مغادرة المعتضد لها، انظر ياقوت البلدان، جـ٣، ص١٧٦ - ١٧٨.

(١٢٤) انظر الدراسات الحديثة التى تطرقت للفترات المختلفة، وقد ذكرناها فى مقدمة البحث .

(١٢٥) انظر بالتفصيل، فاروق، الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية، ص٦٠ - ٦٦؛ العش، الخلافة العباسية، ص ١٠٠ - ١٠٧.

(١٢٦) إختطِ الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ - ٧٥٦م) إلى (١٥٨هـ- ٧٧٤م) بغداد، وانتقل إليها سنة ١٤٦هـ - ٧٦٣م من الهاشمية التى كانت عاصمة سلفة أبو العباس السفاح (١٣٢هـ - ٧٥٠م) إلى (١٣٦هـ - ٧٥٣م) وظلت بغداد عاصمة للخلفاء العباسيين حتى إنتقل المعتصم منها إلى سامراء ٢٣١هـ، انظر الطبرى، تاريخ، جـ٧، ص٦٥٠، جـ٩، ص١٧؛ ياقوت، البلدان، جـ١، ص ٤٥٧، (يذكر أن المنصور نزل بغداد سنة ١٤٩هـ) جـ٣، ص١٧٤، ١٧٥، جـ٥، ص ٣٨٥ .

(١٢٧) كان للترك تواجد قبل المعتصم ولكن المعتصم جلبهم بكثرة، وإعتمد عليهم كعنصر رئيسى فى الجيش، انظر الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص١٨ ؛ البغدادى، تاريخ، جـ٣ ٣٤٦ ؛ ياقوت. البلدان، جـ٣، ص١٧٤ ، ١٧٥ ؛ ابن كثير، البداية، جـ١٠، ص٢٦٨ ؛ فاروق، الفوضى العسكرية، ص٥٥، ٦٢ .

(١٢٨) الجاحظ عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ - ٨٦٨م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ثلاثة أجزاء، (القاهرة، ١٩٦٤)، جـ١ رسالة مناقب الترك، ص٧١ .

(١٢٩) نفسه، ص٦٥، ٦٦ .

(١٣٠) نفسه، ص٧٣ ؛ العش الخلافة العباسية، ص١٠١ .

(١٣١) الطبرى، تاريخ، جـ٩ ، ص١٨ .

(١٣٢) نفسه، ص١٨ ؛ ياقوت، البلدان، جـ٣ ص١٧٤ ؛ السيوطى، تاريخ، ص٣٣٦ .

(١٣٣) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص١٨ ؛ السيوطى، تاريخ، ص٣٣٦.

(١٣٤) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص١٧ ، ١٨ ؛ ياقوت، البلدان، جـ٣، ص١٧٤ ، ١٧٥ ؛ السيوطى، تاريخ، ص٣٣٦ .

(١٣٥) الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٢٥٧ .

(١٣٦) نفسه ، ص٤٠٢ .

(١٣٧) نفسه، ص٣٣٥ - ٣٤١ .

أنظر مثلا مداراة الوالى محمد بن عبد الله بن طاهر للعامة فى الفتنة بين المستعين والمعتز، الطبرى، تاريخ، جـ٩، ص٣٣٥ - ٣٤١، والوالى سليمان بن عبد الله بن طاهر للعامة فى موقف عامة بغداد من بيعة المهتدى، نفسه، ص٣٩٢ .

ABSTRACT

The role of the Public in the Political events in the Abbasid era during the years 247-256 A.H/861 - 869 A.D.

This essay has concentrated on the role of the public in the political events in Baghdad and Samarra which were centres of Power for The Abbasid caliphate during the period 247-256 A.H/861-869 A.D.

The public during these ten years which succeeded the assasination Al-Mutawikkil ala Allah the last of the strong caliphs during the first Abbasid era in the year 247 A.H/861 A.D. emerged obviously which we can not find a resemblance in the political events of Islamic History before that .

Therefore, this essay has concentrated on the recognition of the reasons and motives for this emergence and trying to find out its phenomenon and its effects on different poltical events besides trying to find out its results during the eras of the Abbasid caliphs who took power during this period and they are Al-Muntasir (247-248 A.H/861-862 A.D.), Al-Musta' in (248-252 A.H/862-866 A.D.), AL-Mu' tazz (252-255 A.H/866-868 A.D.), and Al-Muhtadi (255-256 A.H/868-869 A.D.).